دلالة الصمت وصوره في القصة السعودية القصيرة (الخبز والصمت)

دكتورة/ هدى حلمى الجندى
أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم والآداب بالبكيرية، جامعة القصيم

الملخص:
قامت الدراسة على التعرف بمصطلح الصمت، وهو من المصطلحات التي اشتملت على مفاهيم متعددة ومتنوعة، وتنوع دلالته سواء في المعاجم أو عند علماء البلاغة واللغة، وهو من المصطلحات التي تستخدم في الفنون الأدبية وخاصة في فن القصة القصيرة، واستعرضت كذلك بعض المصطلحات التي تدل عليه كالسكون والحذف والإشارة للوقوف على الفروق الدقيقة بين تلك المصطلحات، ثم تناولت تعريف فن القصة القصيرة ونشأتها وتطورها في المملكة العربية السعودية ومراحل ازدهارها، أما الجانب التطبيقي للدراسة كان على مجموعة (الخبز والصمت) لرائد من رواد القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية وهو الكاتب محمد علوان، وهى أولى أعماله القصصية .

الكلمات المفتاحية: الصمت، السكون، الإشارة، القصة، القصيرة، الخبز، والصمت الموت، المنولوج، محمد علوان.

The significance of silence and its portrayal in the Saudi short story (Bread and Silence)

Dr. Hoda Helmy Algandye

Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature

Faculty of Science and Arts at the Qassim University

Abstract:

The study is based on the identification of the term silence**,** which is one of the terms that included multiple and diverse concepts, and the diversity of its significance, whether in dictionaries or in scholars of rhetoric and language. It is one of the terms used in the literary arts, especially in the art of short story. It also reviewed some terms that indicate it, such as silence, deletion and reference to identify the nuances between those terms. Then it dealt with the definition of the art of the short story, its origin and development in the Kingdom of Saudi Arabia and the stages of its prosperity. The applied aspect of the study was on the group (bread and silence) One of the pioneers of the short story in the Kingdom of Saudi Arabia, the writer Mohammed Alwan, which is his first story work**.**

Keywords: silence, stillness, sign, story, short, bread, silence, death, menology, Mohammed Alwan.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد صل الله عليه وسلم وعلى آل وصحبه ومن تبعه ليوم الدين.. وبعد ...

من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أن جعل لهم لساناً يعبرون به عن مكنونهم يتواصلون فيما بينهم بلغة متعارف عليها بينهم، فتعددت اللغات لنجد الناس مختلفي الألسن، وعلى ذلك كان من هناك لغة الصمت التي نجد البشر يستخدمها فيما بينهم في مواطن عديدة منها مواطن ممدوح، ومواطن مذمومة، ومنها مقامات تستدعى الصمت ابتغاء الحكمة أو السلامة أو الاحتراس أو التمرد ....

جاء هذا البحث يقف على أسلوبية رائعة لا يبرع بها إلا أديب ذو موهبة إبداعية حتى لا يتحول عمله الأدبي إلى لغز يحيطه الإبهام والغموض.

لذلك جاءت تلك الدراسة تشتمل على ثلاث مباحث: المبحث الأول اشتمل على تعريف فن القصة القصيرة ومصطلحاتها المتنوعة، وعرضت كذلك بدايتها وتطورها في المملكة العربية السعودية.

والمبحث الثاني: استعرضت فيها تعريف الصمت في المعاجم وعند أهل اللغة والبلاغة، وكذلك المصطلحات التي تنوعت له من سكوت، الإشارة الإيماء ...، وكذلك دلالته في القرآن والسنة، والشعر العربي والرواية والمسرح.

والمبحث الثالث: اشمل على نبذه تعريفيه للكاتب محمد علوان، ثم الجزء التطبيقي على مجموعة قصصية للكاتب محمد علوان وهي مجموعة تحمل جزء من البحث وهو الصمت (الخبز والصمت).

ثم ذيلت البحث بخاتمة، ومن بعدها إثبات للمصادر والمراجع.

دوافع البحث:

تأتى رغبة في دراسة دلالة الصمت وصوره في فن القصة القصيرة السعودية.

أهمية البحث:

تكمن في محاولة استكشاف صور الصمت المتعددة وطريقة عرضها في فن من أكثر أنواع الفنون الأدبية براعة فن القصة القصيرة، وبراعة الأديب في تنوع عرض صور الصمت في قصصه.

أهداف البحث:

دراسة مجموعة قصصية لكاتب من رواد القصة القصيرة السعودية، دراسة فنية.

استكشاف دلالة الصمت وصوره وبيان فنياته في تناول الكاتب له.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي الذي يقول على التحليل، واستقصاء لأشكال الصمت وصوره.

الدراسات السابقة:

وهي دراسات تناولت قصص محمد علوان على وجه الخصوص، ووقفت نفسها على معالجة قصصه أو مجموعاته، ونشرت في كتب أو مجلات دورية.

التفاعل بين الذوات في نموذج أقصوصتي من مجموعة محمد علوان الخبز والصمت، د/محمد رشيد ثابت، فقد تناولت تلك الدراسة الشخصيات والصراع القائم بينهم في تلك المجموعة.

البنية القصصية ومستويات الدلالة، قراءة قصص محمد علوان، عبد الله السمطي، اشتملت الدراسة على بنية القصص القصيرة ودلالتها مع التطبيق على قصص محمد علوان.

الموروث الثقافي في قصص محمد علوان، د /إبراهيم محمد أبو طالب، تلك الدراسة هي استكشاف واستقراء للموروث الثقافي في المجموعات القصصية للكاتب.

ومن هنا جاء البحث متفرداً بتناول تقنية الصمت بأشكاله، برع فيها كاتبنا مع اتخاذ مجموعة الخبز والصمت نموذجاً تطبيقياً.

المبحث الأول تعريف القصة القصيرة:

علينا في البداية تناول تعريف القصة القصيرة وأنواعها ومسمياتها، فهو فن نثرى ذو أهمية كبيرة لدى الكتاب في العصر الحديث والمعاصر، لما تتسم به من سمات فنية وإبداعية بالرغم من الصعوبة في تناولها وعرضها.

ونجد البعض يعرفها بأنها: قصة نثرية خيالية مختصرة تكون أقصر من الرواية تتناول عادة شخصيات قليلة، لا تتجاوز العشرة آلاف كلمة، تهدف إلى تقديم حدث وحيد غالباً ضمن مدة زمنية قصيرة، ومكان محدد غالباً لتعبير عن موقف أ وجانب من جوانب الحياة.

أما محمد يوسف نجم يعرف القصة بأنها مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية محددة.[١]

فقد جمع محمد يوسف نجم يجمع بين القصة والقصة القصيرة، ويفرق بينهم من خلال تسمية القصة القصيرة الأقصوصة، فأن كانت الأقصوصة تتناول قطاعاً أو شريحة أو موقفاً من الحيوات فهي تسعى إلى إبراز صورة متألقة واضحة المعالم واضحة القسمات لقطاع من الحياة. [٢]

وهذا يدل على مدى صعوبة القصة القصيرة، فالكاتب يكون محدد الحدث والشخصيات والفكرة والزمان والمكان، ولا يملك هذه الأدوات ألا كاتب متفرد بارع يمتلك أدواته بشكل كبير حتى لا يخرج عن محددات القصة القصيرة التي يجد فيها الكتاب وسيلة ومتنفس عن مكنون مشاعرهم وواقعهم.

لذلك عدها النقاد من أصعب الأعمال الفنية التي لا يستطيعها كل امرئ، حيث تتطلب مجهود مضنياً.[٣]

ولكن بالرغم من ذلك فهي ليست مجرد قصة تقع في صفحات قلائل، بل هي لون من ألوان الأدب الحديث، تروى خبراً، ولكي يصلح الخبر قصة يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة.[٤]

وعلى هذا فإن من خصائص الخبر أن يروى بحيث أن تتصل تفاصيله أو أجزاؤه بعضها مع بعض ليكون له أثراً كلياً، ما نطلق عليه الترابط أو الوحدة[٥]، وكذلك لابد أن يصور الخبر حدث معيناً، بأن يكون له بداية ووسط ونهاية

ولكن نجد سؤال يطرح نفسه، وهو هل كل خبر يصلح أن يكون قصة قصيرة؟، الإجابة بالطبع لا فهناك أخبار لا تصلح للكتابة.

وتسأل آخر هل القصة القصيرة قاصرة على الحقيقة فقط، أما الخيال فقط؟، أما هي مزيج من الحقيقة والخيال؟، ولذلك أرى أن القصة القصيرة التي برع فيها الأدباء لابد أن تحمل بعض من الواقع ممزوج بخيال الكاتب حتى تلقى رواجا وأقبال لدى المتلقين.

لذلك يرى البعض أن القصة القصيرة استطاعت أن تلبى الحاجة الحضارية[٦] في مختلف صورها.

وقد أطلق على القصة القصيرة عدة مصطلحات، وكانت محل خلاف بين النقاد حول تلك المصطلحات، ومنها: ـــ

ومضات قصصية، القصة القصيرة ـــ جداً، خواطر قصصية، إيحاءات، الخاطرة، الأقصوصة ....[٧]

مراحل نشأة وتتطور القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية:

ارتبط ظهورها بالتحول الحضاري والاجتماعي، وما صاحب هذا التحول من ازدياد الوعي، شأنها شأن القصة القصيرة في أقطار العالم العربي[٨].

وكأي فن من الفنون الأدبية لابد من مراحل أو أطوار يمر بها حتى يصل إلى النضج والازدهار، لهذا نجد القصة القصيرة في السعودية مرت بثلاث مراحل، وهي: ـــ

أولاً: البدايات: ــ

تتمثل تلك المرحلة بالوليد الذي لم يكتمل نموه، فقد نشأت القصة القصيرة السعودية ما بين الحربين العالميتين في أحضان الصحافة، وكانت تلك المرحلة متعثرة لم تتضح ملامحها، كما أشار إلى ذلك جل الباحثين الذين تحدثوا عن بدايات نشأت القصة القصيرة عند الأدباء السعوديين[٩].

فكان للصحافة دور كبير في نشر النتاج القصص، ولعل من أشهر الأعمال القصصية في تلك الفترة (على ملعب الحوادث) لعبد الوهاب أسى، و(الزواج الإجباري والحجاز بعد ٥٠٠سنة) لمحمد حسن.

وكذلك ارتبطت القصة في تلك المرحلة بالتراث الشعبي من ملاحم وسير، وكذلك ارتبطت بفن الصحافة متمثلة بفن المقالة.

ولذلك لم تصل تلك المرحلة للنضج الفني، ولعل السبب في ذلك هو ارتباطها وتأثرها بفن المقالة في العديد من خصائص كتابتها[١٠].

ثانياً: مرحلة الريادة: ــ

تبدأ تلك المرحلة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد تطورت القصة القصيرة تطور ملحوظ بخروجها من عباءة النشر في الصحافة إلى دائرة النشر المتخصص للمجموعات القصصية.

وليس ذلك العامل الوحيد الذي أدى إلى تطور فن القصة القصيرة في تلك المرحلة، ولكن هناك عوامل أخرى كانت سبب في تطورها، منها: الاستقرار السياسي، والانتعاش الاقتصادي، والتعبير الاجتماعي، والنمو الحضاري والتعليمي، وعودة المبتعثين من الخارج، وكذلك اهتمام النقاد بنشر مقالات نقدية موجهة للقصص القصيرة، وأيضاً ترجمة بعض القصص العالمية واطلاع الأدباء عليها. [١١]، لذلك أطلق النقاد على تلك المرحلة مرحلة الريادة الفنية أو الكتاب الرواد[١٢].

وقد تنوعت قصص تلك المرحلة تبعا للقضايا الاجتماعية والأفكار التي انشغلت بها عقول الكتاب ومنها: تعليم المرأة، ومعاناة الطبقات الفقيرة، والتأكيد على أهمية القيم الإنسانية العامة، كما كانت القضايا العربية القومية أثر في أعمال تلك المرحلة كالقضية الفلسطينية، وسيطرة الوجود الصهيوني عليها إلى يومنا الحالي.

ثالثاً: مرحلة النضج والازدهار:

تتسم تلك المرحلة في مجملها بمرحلة النضج، وتطور الشخصية العربية، والتقنيات الحديثة في الأعمال الأدبية، واستمر هذا النضج والازدهار إلى العصر المعاصر.

وقد ظهر في هذه المرحلة العديد من الكتاب على رأسهم في بداية تلك المرحلة محمد علوان، وحسين على حسين، فكانت مجموعة (الخبز والصمت) لمحمد علوان مثار إعجاب ومحط أنظار العديد من الكتاب والنقاد، فنجد أحد كبار القاصين العرب محمود تيمور يبدى إعجابه بتلك المجموعة ورائها مثلت القصة القصيرة الحديثة خير تمثيل[١٣].

وقد أدهشت تلك المجموعة صاحب (قنديل أم هاشم) يحي حقي أحد رواد القصة العربية، فلم يجد بدًا من كتابة مقدمتها مبشراً وزافاً للمشهد العربي قاصاً: لا يؤلف قصة تقيداً لموضوع أو زهواً ببراعة سرد حكاية مسلية أو تلذذاً بالقدرة على الخيال، ويظل مهموماً بالترتيب الزمنى أو التشريحي لأعضاء القصة، وإنما لتفتيت هموم تمتلئ بها نفسه وتنهشه[١٤].

ثم تبعه حسين على حسين بمجموعته الأولى (الرحيل عام ١٩٧٨م)، ثم عبد العزيز المشري بمجموعته الأولى (موت على الماء)، وأيضاً الكاتب جار الله الحميد مجموعته الأولى (أحزان عشية بحرية).

ومن خلال تلك المجموعات القصصية التي ظهرت في تلك المرحلة نجدها قد عبرت عن حالة من تبلور المعاني والشعور والتعمق في الشخصيات، وكذلك حالة القلق والغربة والتمزق، ولعل السبب في ذلك معاناة الكتاب من وضع العالم العربي بداية من النكسة عام ١٩٦٧م وصولا لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، وكذلك لنتشار التيارات الفكرية (كالوجودية والتجريبية .....) تأثير على كتاب العالم العربي عامة والكتاب السعوديين خاصة دور كبير في تشكيل الوجدان النفسي لديهم.

أما المرحلة التالية للقصة القصيرة بالمملكة السعودية فقد اتسمت بغزارة إنتاج وتحرر، وتنوع الكتاب في كتابتهم وأسلوبهم الأدبي، واتجاههم للواقعية بعد أن كانت الرمزية مسيطرة على معظم الكتاب من قبل، ولعل هذا ظهر في مجموعة محمد علوان الحكاية تبدأ هكذا، ومجموعة حار الله وجوه كثيرة أولها مريم، وعبد العزيز مشري أسفار السروي وبوح السنابل والزهور تبحث عن آنية[١٥].

وبالرغم من ذلك لا يمكن أن ننكر دور الصحافة وأثرها البالغ في نشر نتاج الكتاب السعوديين بالقصة القصيرة في بداية فترة الثمانيات، وكذلك أقبال القراء على القصص القصيرة أكثر من أي نتاج أدبي نثرى آخر، كل هذه العوامل جعل القصة القصيرة تتألق وتزدهر بداية من الثمانيات إلى التسعينيات إلى وقتنا الحالي.

المبحث الثاني :(دلالة الصمت، والسكون، والغياب، والحذف والفرق بين تلك المصطلحات)

دلالة مفهوم الصمت في اللغة:

بالبحث عن دلالة الصمت في المعاجم وعند أهل اللغة والبلاغة تنوعت دلالتها، وقد حاولت أن استعرض تلك المعاني للوقوف على الفروق الجوهرية بين المصطلحات المتعددة التي تدور حوله.

١ـــ معاني الصمت في المعاجم معاني عدة منها:

الصاد والميم والتاء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على إبهامٍ وإغلاق[١٦]، والصَّمت والصّماتُ والصّموت بمعنى واحد، والفعل صَمَت يصمُتُ، وصَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتاً وصُموتاً بمعنى سَكَتَ، والصُّمُوتُ والصُّماتُ: السكوت، وقيل: طُولُه، والتَّصْميتُ: التَّسْكِيت، وهو أيضاً: السكوت[١٧].

والصَّمت مصدرٌ، والاسم من صَمَت: الصَّمتة [١٨]، ويقال لغير الناطق: صامت، ولا يقال: ساكت، وأصمتُّهُ أنا إصماتاً إذا أسكتُّهُ. ويُقَال: أخذهُ الصُّماتُ إذا سكت ولم يتكلم[١٩].

ويقول ابن فارس: (والصّموت: الدروع اللينة التي إذا صبها الرّجل على نفسه لم يُسمع لها صوت)[٢٠]،وتركتهُ في بلدة اصْمِت: وهي القَفرةُ التي لا أحَد بها. وقيل: سميت بذلك لكثرة ما يَعرِضُ فيها من الخوف، إذ كأنَّ كلّ واحد يقول لصاحبه: اصمت[٢١].

والحُرُوف المُصْمَتة: وهي غير حروف الذَّلاقَة الستة[٢٢].

وسميت بالمُصْمَتة؛ لأنّها صُمِتَ عنْهَا أنْ يُبنى منها كلمةٌ رباعيةُ أو خماسيةُ مُعّراة من حروف الذلاقة.[٢٣]

وقد ورد لفظ الصمت في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [٢٤].

وكذلك قوله تعالى: فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [٢٥]

وهنا الصمت يدل في الآيات السابقة على السكوت أي عدم الكلام سواء كان فيمن يملك القدرة على الكلام أم لا.

أما الصَّامت يعنى: الشيء الذي لا يُصدر صوتاً سواء أكان جامداً أم متحركاً مثل الذهب والفضة، وكذلك الدروع اللينة التي لا تصدر صوتاً عند لبسها، وكذلك السيف الرسوب وكذلك الفَلاة، ومن هنا نستطيع أنْ نعدَّ من الصَّمت أيَّ حركةٍ تؤدي معنىً من غيرِ

صوت سواء أكانت من إنسان أم غير إنسان، كتعبير الجسد والوجه والعين، فأيُّ حركة من غير لفظ/صوت هي صمتٌ وصاحبها صامت[٢٦].

لعلى هذا فالصمت يدل على الإبهام والإغلاق، فالشيء المبهم غير الواضح يحتاج إلى جهد وتأمل وتفكير يطلق عليه صامت، لأنه يحتاج إلى أكثر من تأويل لتحديد المعنى من جهة الدلالة.

فهو لغة فياضة تتسم بالأهمية لعلاقته المتينة باللغة منطوقة ومكتوبة، يسبق الكلام ويعقبه[٢٧].

وعلى هذا فقد وجد الأدباء ــ شعراء وكتاب ــ في الصمت دلالة موحية وطاقة إبداعية تعجز اللغة أحياناً عن إيصالها للمتلقي، فهو وسيلة لترك فضاء رحب للتأويل، فكأن الكلام لا يجدي نفعاً فيجدى الصمت بلاغة موجبة ودلالة موجزة.

دلالة الصمت عند أهل اللغة والبلاغة:

أما مفهوم الصمت عند أهل اللغة والبلاغة متفق مع ما اشتملت عليه المعاجم، وأن كان هناك مصطلحات أخرى تدل عليه نحو الحذف والإيجاز.

وهذا ما ذكره الجرجاني أن الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن[٢٨].

هذا يشير إلى أن الحذف صورة من صور الصمت، وأن كان الصمت أعلى درجات الفصاحة في اللغة العليا، وهو صنو الصوت والصورة[٢٩].

أما مصطلح السكوت فنجد البعض يفرد له باباً كسيبويه قال فيه: (هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموصوفاً لو أظهرته، وليس نفسه المظهر، وذلك: أن مالاً وإن ولداً وإن عدداً، إي إن لهم مالاً...)[٣٠].

فقد عد البلاغيون السكوت من البلاغة كقول ابن المقفع عندما سئل ما البلاغة؟ قال: (البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع)[٣١].

والسكوت أقصر من الصمت، وطبيعته مؤقت، فهناك من يسكت فور ما يشعر بالخوف كقوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[٣٢]

أن الغضب نار تهيج النفس، فيفقد الإنسان السيطرة على أقواله وأفعاله وتصرفاته، لذلك وجب على الإنسان وقت غضبه أن يضبط نفسه، وذلك ما أشارت الآية الكريمة لوصف حال موسى عليه السلام وقد اشتد غضبه فألق الألواح وأمسك بأخيه، ولكنه عندما تدارك فعله أخذ الألواح وقت سكوت الغضب عنه، وكأن الغضب نار تتأجج بالكلام، وحين السكوت تهدأ نار الغضب، وقد يكون المقصود بسكت أي سكوت الغضب عنه أي زواله بعد حركة الاضطراب والحركة، فحين سكت غضب موسى سكنت كذلك أفعاله.

وقد يكون ذلك وفق ما ورد عن وصف الرسول صل الله عليه وسلم حالة الإنسان وقت غضبه بأن عليه أن يغير من حالة جسده وقت الغضب بأن يأخذ وضعية السكون وهي تدل على عدم الحركة لجميع جوارحه بمعنى تغير وضعيته، وأيضاً السكوت عن الكلام لحين ذهاب الغضب، وذلك كما ورد عن أبي ذر، قال: كان يسقي على حوض له، فجاء قوم فقال: أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل: أنا، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه، وكان أبو ذر قائما فجلس، ثم اضطجع، فقيل له: يا أبا ذر، لم جلست، ثم اضطجعت؟ قال: فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" [٣٣].

ولذلك فالسكوت يعنى ترك الكلام لاعتبارات آنية أو مصلحة عابرة، نابع عن تردد أو خشية أو هاجس خوف يعتري الإنسان فيؤثر السكوت، أما الصمت قد يكون مقترن معه تأمل وتفكير عميق لحكمة تعتري الإنسان، فقد جعل جزء من الحكمة في الصمت كما ورد في قول الرسول صل الله عليه وسلم في قوله (الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في العزلة، وواحد في الصمت)[٣٤]، ذلك يدل على أهمية الصمت وأثره.

ونجد في السكوت السلامة والأمان والخير وذلك نحو قول رسولنا الكريم :(رحم الله عبداً تكلم فغنم، أو سكت فسلم)[٣٥]، وأيضاً (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[٣٦].

أما عن تنوع ألفاظ الصمت أو السكوت في القرآن الكريم فجأت عديدة، تأتى تارة على سبيل التصريح وتارة على سبيل التلميح على حسب ما يستدعى المقام.

واستخدم البلاغيون مصطلح الإشارة وهي الإيماء بدلاً من الإيجاز أو الصمت، كما ذكر قدامة بن جعفر عن الإشارة: أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها[٣٧]، متأثرين بذلك بتنوع الأساليب كما ورد في القرآن الكريم كما أشرنا سابقاً.

والصمت والسكون مظهر من مظاهر الطبيعة، في كل شيء موجود في الكون، فكل شيء بدايته صامت ساكن، ثم يتحول لحركة ونشاط، كالبذرة تكون ساكنه، ثم تتحول للحركة عند تحولها إلى نبات.

ويمكن أن نستخلص أنواع الصمت كما ورد عند علماء اللغة والبلاغة والمعاجم نحو، ما يلي:

ـ نجد أن لغة الجسد والإشارة لغةٌ صامتةٌ ممكن أنْ تستبدل باللغة الناطقة أو تشترك معها في توضيح الدلالة المقصودة وتعضدها وتقويها، وحسبُ الإشارة كانت باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدّل والشكل والتّفتل والتثني واستدعاء الشهوة. وغير ذلك من الأمور[٣٨].

ـ وعلى هذا فالحالة الصامتة–النصية– هي ناطقة من جهة الدّلالة. وإنْ كانت صامتة من جهة الصوت.

ـ ويعد الحذف والإيجاز والمسكوت عنه ضرب من الصَّمت؛ لأنَّه حذفٌ متعمد للكلمات (الأصوات)، ولما كانت البلاغة في الإيجاز فنستطيع أنْ نقول: إنَّ البلاغة في الصَّمت، وهذا ما أكده الجرجاني بقوله: والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة[٣٩]، ويحدث ذلك بشرط أنْ يكون هذا الحذف وهذا الإيجاز غير مخلٍّ بالمعنى، فالمتكلم ينبغي له أنْ يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاق المعني وتوضيحه[٤٠] .

ـ وهناك نوع من الكلام نستطيع أنْ نسميه (الكلام الصامت) وهو الذي ينطق من غير صوت، وهو ما يعبّر عنه بلسان الحال، أو ما يسمى المنولوج الداخلي حديث النفس للنفس.

ـ وكذلك الصورة المشتملة على الليل أو الموت تدل أيضا على الصمت بما تشمل عليه من إيحاء.

دلالة الصمت اصطلاحاً:

لم نجد تعريف اصطلاحي جامع لمعاني الصمت على مستوياته المتعددة، وأن وجد بعض التعريفات تكون قاصرة على جانب من الجوانب دون الآخر، فالصمت لغة خاصة ناطقة بالرغم من عدم استخدام صوت، فهو كما أشار عباس محمد رضا: الصمت لغة اللغة ولغة ثانية[٤١].

فالصمت له وسائل عديدة لتعبير عنه من لغة جسد وإشارة ورمز ولون وحركة وصورة، فهو كاشف القناع والخفاء للمعنى، ولعل عدم التحديد في تعريفه اصطلاحاً لتنوع صورة في كافة استعماله سواء في الأدب أو غيره.

دلالة الصمت في الشعر والقصة والرواية والمسرح:

ونجد دلالة مصطلح الصمت عند الشعراء وردت في أغراض متعددة ومختلفة، فنجده في غرض الغزل يلجأ إليه الشاعر لكتم مشاعره، خوفاً على الحبية وسمعتها، أو خوف من أهلها وداوين الغزالين يمتلأ بتلك الصور كقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة:

أشارت بطرفِ العين خِيفَةَ أهلهـا إشارةَ محـزونٍ ولـم تَتَكـلَّمِ
فأيقنتُ أنَّ الطَّرفَ قد قال مرحبـاً وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المُتَيَّمِ[٤٢]

يشرح ابن هشام هذه الأبيات بأن الشاعر فإنما نفى الكلام اللفظي لا مطلق الكلام، ولو أراد بقوله (ولم تتكلم) نفي غير الكلام اللفظي لانتقض بقوله (فأيقنت أنَّ الطرف قد قال مرحباً)؛ لأنَّه أثبت للطرف قولاً بعد أنْ نفى الكلام والمراد نفي الكلام اللفظي وإثبات الكلام المعنوي[٤٣]، أي أنه كلام خفي خوفاً من أهلها.

والبعض من الشعراء يستخدم الصمت خيراً من الجواب والرد ليدل على رجاحة العقل ونوع من الستر وحفظ الكرامة من الكلام، ووسيلة للبعد عن الرذائل، وهذا ما أكد عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه في قوله:

أن القليل من الكلام بأهلـــــه حسنٌ وإنّ كثيـــرهُ ممقُوتُ
ما زالَّ دُو صمتٍ وما منْ فضّةٍ فالصَّمتُ دُرّ زانـــهُ ياقُوتُ![٤٤]

وقد تنوعت وتعددت دلالة الصمت في القصة القصيرة والرواية والمسرح، وذلك لأن كل فن منهم يقوم على مقومات لها دور سواء من شخصيات ومناظر وزمان ومكان وحدث وإخراج، فلكل مقوم دوره الذي يلجأ إليه الأديب في عرض صور للصمت والسكون وتكون أبلغ من الكلام.

فهو وسيلة تستخدم في إخراج النص واستمرار للحوار ولكن عن طريق حوار غير منطوق (الصمت)، فهو نص مختفى لا يستطيع الحوار أن يفصح عنه، مما يعطى مساحة من التأويل كما ذكرنا سابقاً.

وهذه الأمر يتسم بالغني الفني والدلالي من خلال إقامة علاقات جديدة من التناغم بين الصمت والحوار[٤٥].

وقد وجد مسرح صامت أو ما يسمى بالبانتو ميم، وهو فن يقوم على تصوير شخصية أو حالة معينة باستخدام إيماءات وتعبيرات الوجه والحركات الجسمية[٤٦]، فهو تمثيل صامت قائم على لغة الجسد والملابس بعيد عن الألفاظ أو ألفاظ معدودة لتوصيل الفكرة، فالمسرح في الحداثة وما بعد الحداثة لا يحتاج إلى لغة سردية طويلة بل يحتاج إلى الإشارة، وحتى اللغة تحتوى على تلك الأساليب التي يمكن للمتلقي أن يفهم الشيء الكثير في كلمات معدودة، وهذا ما تتسم به لغتنا العربية من أساليبها الفنية الجمالية،فالصمت الذى يلجأ إليه الكاتب في أعماله الفنية يعطى له مساحة من الحرية والإبداع .

ولو نظرنا إلى فن القصة القصيرة والرواية نجد أن الأدباء لجواء إلى استخدم كلمة الصمت سواء بعض الأعمال تحمل هذا المصطلح مثل (الخبز والصمت)، و(الصمت والجدران)، و(بين الصمت والجنون)، و(قراءة في السر لتاريخ الصمت العربي) لمحمد علوان، وسباعي، وعثمان، ومحمد جبر الحربي، وفوزية أبو خالد، فالصمت هنا نجده صمت فني، سواء بذكر اللفظ صراحة أو من خلال ثانيات الكلام أو من خلال استخدام رمز يدل على الصمت.

وفي المبحث التالي أتناول مجموعة من المجموعات القصصية القصيرة لكاتب من المبدعين الذين تحدث عنه كبار القصصين، لمحمود تيمور، وكتب مقدمة قصصه القصيرة الخبز والصمت الروائي يحيى حقي كما ذكرنا سابقاً مما يدل على براعة وإبداع الكاتب محمد علوان، فقد وجد يحي حقي في تلك المجموعة نموذجاً لرؤية وأفكار محمد علوان عن القصة الحديثة، اتسمت بسرد جمالي عميق يعد طريقة من التنظير العالي المستوى.

وتلك المجموعة اشتملت على عدد من القصص، منها:

الخبز والصمت التي اتخذ اسم المجموعة من تلك القصة، وقصة الطيور الزرقاء، والسؤال الثالث، والجدران الترابية، وكما لا يتفقون أبداً، المرآة المشروخة، والجسر، والجنادب، ويحكى أن، والجوع كافر، وتموت واحدك، وقصة خضراء، ونعيق الغراب الأبيض، والمطلوب رأس الشاعر، الاتجاه شرقاً، والزمن والشمس، شمس الموتى.

ونجد أن هذه المجموعة تدور حول موضوع واحد للتعبير عن جانب أو جوانب الحياة، فالوحدة هي الموجه الأول المتمثلة في هذا المجتمع الصحراوي المنعزل.

المبحث الثالث: أشكال الصمت في مجموعة الخبز والصمت لمحمد علوان:

مدخل:

قبل أن ندخل في دراسة الصمت في مجموعة (الخبز والصمت) نتعرف على الكاتب محمد علوان بنبذه مختصرة فهو أحد رواد القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية توفى ٣١أغسطس ٢٠٢٣م، وولد في أبها عام ١٩٥٠م، حصل على درجة البكالوريوس في الأدب العربي من كلية الآداب في جامعة الملك سعود عام ١٩٧٤م، نشر ست مجموعات قصصية أولها الخبز والصمت عام ١٩٧٧م، وآخرها طائر العشا عام ٢٠٢٠م، أشرف على الصفحات الثقافية من مجلة اليمامة، وصحيفة الرياض عدة سنوات، شارك في أمسيات قصصية في الأندية الأدبية وجمعية الثقافة الفنون، وهو عضو مؤسس بمؤسسة عسير للصحافة والنشر .

كما عمل الراحل في وزارة الإعلام منذ تخرجه وتدرج في العمل إلى أن أصبح وكيلاً مساعداً لشئون الإعلام الداخلي[٤٧].

تضمن المجموعة القصصية (الخبز والصمت) دلالات عديدة لمفهوم الصمت كما وضحنا سابقاً في المبحث السابق من أنواع الصمت، فتارة يذكر الكاتب لفظ الصمت صراحة، وتارة يذكر السكوت، وتارة الصورة تتضمن دلالة الصمت والسكوت، وكذلك المنولوج الداخلي، والحذف ... وهذا ما نحاول عرضه في تلك المجموعة.

ـ ذكر لفظ الصمت صراحة:

ذكر لفظ الصمت صراحة على مستوى المجموعة عشرون مرة على النحو التالي:

في قصة (لا يتفقون أبداً) **(صمت متراكم.. يرقب بعين يملؤها الفزع تلك الدائرة من الضوء)** حيث شخص الصمت كأنه شخص ينظر بعينه للفراغ والضوء[٤٨].

وفى قصة (الخبز والصمت) يذكر الصمت أكثر من مرة نحو قوله **(أليس لك سوى الصمت هو في كل الحالات التراجع الوحيد والهزيمة الفريدة)**[٤٩].

(لكنها لا تحسب هزيمة.. ولا تراجع. الصمت ... الصمت ربما يكون في قليل من الأحيان منطلقاً لصرخة متورمة)[٥٠]، وكان الأديب يضع تعريف للصمت على لسان البطل الذي يرى أن الصمت ليس هو هزيمة ولكن تعبير عن انفعال متمثل في الصراخ لتعبير عن الألم والرفض.

ويعود الكاتب ليشرح الصمت الذي توارثه أهل القرية جميعاً فهو كالمرض الذي توارثه أهل القرية، وليس هذا فحسب فالصمت ما هو إلا غابة وحشية في قوله **(نبت الصمت.. غابة وحشية)**[٥١].

وفى قصة الخبز والصمت يجمع بين الصمت والخبز، في قوله :**(وصل إلى منزله مع بزوغ الشمس رائحة البن.. والخبز.. والصمت تنتشر في المكان)**[٥٢].

وفى قصة (الجنادب) يرى الكاتب على لسان الراوي أن الصمت وسيلة هروب في قوله:**(ذكياً يعرف نقاط التشويق في حديثه.. يلوذ بالصمت حين يدرك أن الكل يرقب نتيجة ما)**[٥٣].

وتارة يصف شدة الصمت وقوته على أهل القرية المندهشون من حديث رجل في قوله :**(الصمت ينفخ الصدور.. يسمعون دقات قلبهم بوضوح)**[٥٤].

ويصف حالة نائب القرية وهو صامت يشاهد خلاف أبناء القرية في قوله :**(ونائب القرية؟ صامت دائماً)**[٥٥]، فالبطل يتعب من صمت النائب وهو يرى خلاف ينشب بين أبناء القرية.

ووفى صورة أخر من صور الصمت يعبر فيها عن الفاجعة التي حدثت للقرية، ولم تجد الغريب الذي ابهرهم بحديثه وأقواله عن اتخاذ الحذر من الطبيعة القاسية التي يعيشون بها في قوله :**(الصمت يلف المكان.. فوق قمة الجبل.. الليل.. البرد القاتل.. عويل النساء.. بكاء الأطفال..)**[٥٦]، وهنا نرى أن هناك أصوات بكاء وصراخ لكن بالرغم من ذلك الصمت يعلوا وجوه الجميع من هول الأمر، صمت للعجز عن التعبير عن هول الفاجعة التي حدثت لهم.

وفي القصة تظهر نوايا الرجل ـــ الغريب ـــ الذي سحر ألباب أهل القرية بحديثه، ووقت الفاجعة يخرج من صمته وقت حدوث الفاجعة ليضع شروطه لمساعدة أهل القرية في قوله: **(الرجل الغريب يخرج من صمته.. الصوت الساحر يبدأ في الحديث)**[٥٧]، وهو لكي يساعدهم عليهم طاعته استعبدهم وهذا ما رفضه أهل القرية، رفضوا الخضوع والاستسلام والانكسار، وسعوا إلى بداية جديدة بعيده عن الاستبداد والتواكل على الغير.

ومن أبرع ما وصف الكاتب به الصمت في قصة (يحكى أن) الصمت الذي يصيب العيون، وهي من أبرع الصور في أن الصمت لا يصيب الكلام فقط أنما أيضاً يصيب العيون فلا تجد تعبير سوى الدمع فقط من شدة الألم عندما يعجز الإنسان أن يعبر عن نفسه، وذلك في قوله:**(يرقب السماء.. جمل خلف جمل.. يضحك المجنون.. يصفق..**

يغيب ساعة.. ساعتين يعود صامتاً وعينه حبلى بالصمت والألم.. تلد دمعة.. دمعتين)[٥٨]،وهل تحبل العيون؟ وماذا تلد؟ غير الدمع الذي ينزل في صمت معبر عن حاله، وكأن العين والوجه تتحدث من غير كلام لتنقل للجميع أنه شخص غير معتوه كما يصفونه :**(وجهه يقول.. عينه تقول.. يقول.. يا سادتي أتسمعون قصتي لست معتوهاً مثلما تحسبون)**[٥٩]، وقد يجمع الجميع على أن العيون هي أكبر معبر عن حالة الإنسان، فمن خلاله نستطيع أن نحكم على الشخص سواء من سعادة أو حزن، ألم أو راحة، شقاء أو نعيم، وهذا ما وضح فيما وصفه الكاتب من صمت العيون المعبرة بلغة خاصة غير جميع اللغات المعروفة.

وفى قصة (الجوع كافر) يصور حالة الجوع وآثاره السيئة التي تؤدى إلى السرقة القتل الدمار، وهذا ما حدث لبطل القصة حتى بعد حصوله على الطعام والدفء يقوده الأمر إلى الهلاك والانتقام لأنه يرى الجميع سرق منه أبسط مقومات الحياة، فيقدم على الجريمة وهو في حالة صمت مطبق في قوله: **(ضرب الزجاج بقبضة يده.. المرأة لا تزال تصرخ وهو صامت.. الدم ينفجر من يده..)**[٦٠]، فهي صورة من صور الغياب عن الوعي الذي أصابه، وكأنه يرى معاناة حياته في تلك الثواني الصامت التي مر بها قبل أن يحاول الهرب.

وفى قصة (تموت واحدك) يطلب البطل من صديقه الخروج من أحزانه بعد وفات أمه بقوله:**(أخرج من صومعتك الذهبية، اذهب إلى جبال تملؤها الحجارة الحبلى بأسرار الكون والناس، تلفها الأشجار الصامتة برهبة ووحشة)**[٦١]، فالصمت ليس قاصر على الإنسان بل يصيب الأشجار وكأنه أشخاص ترى وتسمع، ولكن اختارت الصمت الذي يزيدها رهبة ووحشة، فهو أسلوب التشخيص الذي يستخدمه الأدباء في أعملهم.

ومن حديث البطل في مع صديقه بموته وحيداً يجعله في حالة من غياب الوعي بوصفه **(ستموت وحدك، وكأني بلكمتي هذه فجرت شيئاً ما داخل عينيه، فإذا بظلام عميق يلفها وهبط الصمت، وتركته بمفرده)**[٦٢]، وكأن كاتبا خبير بأسرار العيون وخباياها.

وليس هذا فحسب فنراه يصور حالة الصيادون الذين عادوا إلى البحر بعد دفن الرجل وكأن الأمر لم يكن **(دفنوه، وفى صمت عادوا إلى البحر)**[٦٣]،كأن الأمر شيء يحدث كل يوم، لذلك لا مهابة له في نفوسهم فالجميع لا محالة مصيره الموت، الحياة لابد أن تستمر.

وفى قصة (خضراء) يصف الليل بالشخص الذي يغرق في صمته، وهي صورة يتعجب لها المرء، في قوله **(الليل يغرق في صمت)** [٦٤]دليل على شدة السكون والصمت التي تحيط بالقرية ليلاً.

وأن كان محمد علون كرر وصف العيون بالصمت مرتين في تلك المجموعة، نراه في قصة (الزمن والشمس) يصف الوجوه وهي صامته، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هناك لغة يستطيع الكاتب أن يعبر بها عن حالة أبطاله بدون لغة بالنظر في الوجوه لمعرفة الحالة دون سرد وصف أو حوار مسموع، في قوله **(الشمس تزيد من صهد الحرارة فوق أرضية الشارع لتنعكس على الوجوه الصامتة المتألمة)**[٦٥]، وهي صورة معبرة عن حالة معبرة تعلو وجوه الجميع من الدهشة لوجود جثة ملقاه في الطريق، وتتعالى علامات الاستفهام عن سبب موتها.

وفى قصة (شمس الموت) يصف الصمت بالرداء الذي ينقش ويزين، لكن من يقوم بذلك؟! في قوله **(كانت العصافير المتجمعة تنقش بزقزقتها رداء الصمت)**[٦٦]، وهي صورة تجمع الدهشة والغرابة في أن صوت العصافير يخرجه منه ما يزين الصمت.

ونجده في نفس القصة يطرح سؤال يدل على فلسفة عميق يمر بها معظم البشر وهي الهروب ولكن الهروب إلى الصمت، وكأنه ملجأ وملاذ يلجأ إليه الإنسان في قوله: **(تكلم.. لماذا تهرب إلى الصمت؟)**.

ـ لفظ السكون:

لم يذكر إلا مرة واحده في قصة (الخبز والصمت)، نحو قوله: **(السكون صوت هادئ ينم عن الثقة والارتياح في اختيار القرار)**[٦٧].

ـ المنولوج الداخلي:[٦٨]

يعد أكثر الوسائل الفنية تعبيراً عن حالات الصمت التي تعانى منها الذات، بل يتجاوز الصمت الذاتية لتشمل الجميع، فالمنولوج الداخلي يتوافق مع حالات الصمت والعجز والانكسار والرفض لواقع كما وجدنا في مجموعة الخبز والصمت، فأكثر محمد علوان من المنولوج الداخلي، وذلك لاعتماده على العملية السردية على ضمير المتكلم، وعلى سبيل التمثيل للمنولوج الداخلي قصة (الخبز والصمت) التي يدور بها حوار داخلي لشاب مع نفسه قبل اتخاذ قرار بعدم الزواج، وتنتهي القصة بإظهار سلطة الأب وغضبه عندما أرادت الأم بتعبير عن وجهة نظرها، ومن العنون جمع بين الخبز رمز النعمة والرعاية والصمت الذي هو الثمن المطلوب لتلقى تلك النعمة، فالأب هو مصدر العطاء وعلى بقية

الأسرة أن يصمتوا عندما يتحدث الأب أو يأمر، لكن الابن ينطق بـــ (لا) ليـدل علـى الرفض والخروج عن طاعة الأب، ولكن قبل أن يصل الابن للرفض أخـذ وقتـه فـي الصمت الذي مداره الحديث مع النفس حتى الوصول لقرار الرفض .

وفى قصة (المرآة المشروخة) نجد صورة المنولوج الداخلي أيضاً تعبير عن الصمت من صورة شاب يتمتع بنسبة من القبح ويواجه قسوة المجتمع والفقر ويدخل السجن الذي هـو صورة أيضاً من صور الصمت والعزلة، وعند خروجه وفى محاولة لتحقيق حلمه بفـتح دكان يعمل به تتحطم أحلامه لكونه يبيع أشياء خاص بالنساء من أدوات زينـة ومرايـا وصابون على يد صاحب الحذاء الضخم، فيجد المتلقي نفسه أمـام تـأويلات وإبهـام لا يختلف عن الصمت.

ـ صورة الليل:

الليل بما يحمله من صمت وسكون تعدد في معظم قصص المجموعة، فقـصة (الطيـور الزرقاء) تناول فيها حزن الأب الذي يفقد ابنته أما عينه فيصور الليل الطويل الذي يمـتلأ بالطيور الزرقاء التي جاءت لتحمل الطفلة وتتركه حزينة في قوله (**الليلة الظلماء سمعته بأذني ينهش الضياء، ومن كهوف الليل رأيت تسعين طائراً بأجنحة زرقاء قادمة، الليل يلد .....، من كهوف الليل تجئ من وكرها الطيور لتحمل الوحيدة الحزينة**)[٦٩].

فالقصة تنبض بالحزن لفراق الأب لابنته، ويأتي الليل بصمته المطبق على النفس لتحمـل الطيور طفلته وتترك الأب في حزنه.

فالليل مجمع الهموم والأحزان، وقد يكون ظلامه مثار للوحدة والعزلة، كقوله (**في الظلام يشعر الإنسان بوحدته وانفراده.. في الظلام تنمو طفيليات كثيرة سامة**)[٧٠].

وكثيرا ما يسدل الليل أستاره على القرية التي كانت مكـان أحـداث مجموعـة الخبـز والصمت كقوله (**الليل يغرق في الصمت.. أكداس من ظلام تنتشر في كل زاوية.. الباب الكبير من خشب العرعر.. طرقت الباب.. انتظرت.. لا وقت للكلام.. ولا وقت للرؤية.. الخوف والظلام**)[٧١].

تصميم بطل قصة الجوع كافر على البحث عن الحياة برغم من ظلمة الليل وصمته، فـي قوله (**الليلة تزداد حلكة.. وهو يزداد بحثاً عن الحياة**)[٧٢].

وأن كان الليل مثار للهموم في بعض قصصه، فهو أيضاً وقت لتأمـل والحلـم لطفلـة صغيرة تتخيل الحياة الناعمة والثياب الجميلة في قوله (**الطفلة في فراشها نظـرت إلـى**

سقف الغرفة الخشب المتراص فوقها أرضية جسر تخيلته ينقلها إلى هناك حيث السيارات والحياة الناعمة ... والثياب الجميلة.. بعيداً عن ليالي الشتاء)[٧٣].

فالحلم شكل هنا ملمحاً بارزا عن طريقة التجسيد والتشخيص[٧٤]، وذلك لأن الأحلام نشاط إبداعي يعتمد على سيولة الوعي أو الشعور في حالات الوعي أو اللاواعي (اليقظة أو النوم) ويكون شديد التكثيف، سريع النقلات مجسداً في لغة مصورة وزمن لا تتابعي[٧٥].

ومن براعة تصوير الصمت أيضاً في قصة (المطلوب رأس الشاعر)، حيث يقول **(نحو البئر سارت قافلة الرعاة وخلفها الجمال والأغنام والأبقار.. سارت البهائم.. سبعة حملان صغيرة بلا شفاه تخلفت وشاعر حزين)**[٧٦].

تظهر براعة وصف الحملان بلا شفاه مما يدل يشير إلى فقد التحدث، دليل على صمتها التام، وكذلك صمت الجميع عندما يتحكم بهم الجهلاء، عندم يضيع تاريخنا وهويتنا نقد القدرة على الكلام.

ـ الموت:

فمما لا شك فيه أن يحمل الموت صورة من صور الصمت، فكان له نصيب كبير في تلك المجموعة كقصة الطيور الزرقاء، وقصة موت واحدك، وقصة شمس الموتى وهو في تلك القصة يشير إلى ظهور الشمس التي تغيب عن دنيا الأحياء لتشرق على الأموات فهذا حق لهم كمثل الأحياء في إشراقة الشمس عليهم.

فقد تعددت صورة الموت في تلك المجموعة لتعبر عن حالة التوتر والقلق الذي ينتاب تلك الشخصيات مما يجعل كلماتهم متقطعة حين تعبر عن ذاتها بالصوت، وقد تؤثر الصمت أحياناً في التعبير عن معاناتها.

ـ الحذف:

نجد دلالة الحذف تواجدت في معظم قصص (الخبز والصمت) وكأن الكاتب يصمت عن ذكرها لدلالتها وعلم المتلقي بها، أو ترك مخيلته تخمن المحذوف أو الصامت عن ذكره، وذلك كقوله :**(والدي رجل العسلة الذي أصيب بالروماتيزم ... انحنى ظهره.. تصلبت يداه ...)**[٧٧]، فهنا يصمت عن ذكر باقي الأمراض التي يعاني منها الرجل بائع العسل.

وأيضاً في قوله **(أتحاكم الفئران أيها المخبول؟ ... في ثقة وهدوء: نعم نحاكم الفئران!! الموعد وإياها.. الوعد وإياكم.. حين تبزغ الشمس.. غداً)**[٧٨].

وفى قصة الاتجاه شرقاً صورة مقرنة بين الجندي المدافع عن وطنه، والأخ الدون جوان كما وصفه يجلس خلف المذياع فنهاك أشياء محذوفة تدل على الصمت عن ذكرها لحرية

التأويل في قوله (**الأجساد تتهاوى.. كل الجنود صورة لأخيه الحبيب.. الألم يعصره.. جبان يقبع وراء المذياع لا يملك من القدرة على المشاركة سوى كلمة (لو)**)[٧٩].

وكذلك في أنكاره لهجر الأرض، وفقد الهوية في وصف تلك المشاعر نجد هناك كلام لم يذكره في قوله (**الصوت منهمر مجرحاً يقول: وأرضنا.. جمالنا الحبيبة.. رجالنا.. نبيعها؟ نبيع خيرها؟ لمن، لن نستبدل الجمال ولن تموت في عيوننا نضارة الحياة**)[٨٠]، فهي صورة لرفض العربي ترك أوطانه وهويته مهما كانت الإغراءات.

وكذلك نجده يصور حالة الحسرة التي أصابت بطل قصة الجدران الترابية، وهو يصف حاله بعد أصيب بالحسرة والهزيمة فيصمت عن عدة أوصاف لمشاركة المتلقي ألام بطل القصة، نحو (**يدخل القاعة.. التراب يعلو اللوحات.. تلك فازت بمجموعة كبيرة من الجوائز.. وتلك فازت في.. وفى.. ابتسم بنفس المسافة.. مسيرة البكاء تتجه نحو حلقه.. الدموع تتجمع.. أسنانه السفلى تعض الشفة العليا.. يبتلع الألم، الحسرة، الهزيمة .... وممن؟ من قريته!**)[٨١].

وفى قصة السؤال الثالث يترك المخيلة للمتلقي في صور الصامت المتعددة بها، فها هي الطالبة بقاعة الاختبار تحاول الغش لكي، لا ترسب وكذلك حالة ترقبها للمراقبة حتى تختلس الغش من صديقتها، نحو (**تنظر إلى المراقبة تلتقي بعينيها.. تطيل النظر قليلاً.. لحظة تفكير كاذبة.. تنتظر.. تنتظر.. تنتظر بطرف عينيها.. ورقة معلقة على الحائط.. جمعية تحسين الخطوط.. بخط سيء.. الصبر مفتاح الفرج ...**) [٨٢]، كأننا أمام مشهد سينمائي مصور لحالة الفتاة ومحاولتها اختلاس وقت غفلة المراقبة، وكذلك نظرات عيونها المتوجسة وما تحمله من معاني المكر والخوف والقلق.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى معرفة الدلالة الفنية للصمت بأشكاله المختلفة في القصة القصيرة من خلال مجموعة " الخبز والصمت " لمحمد علوان، مستنبطة أشكال الصمت ودلالاته من حيث: الصمت والسكوت والسكون والحذف والإشارة.

ومن خلال هذه الدراسة قد توصلت إلى عدة نتائج، من أهمها:

- الصمت أبلغ من الحديث، فهو لغة خاصة تخرج عن دائرة الأصوات، تعطى مساحة المتلقي في تصوير ما صمت عن عرضه المؤلف.
- للصمت صور عديدة، والكاتب البارع هو الذي يستطيع أن يطوع تلك الصور في أعماله، وهذا ما امتازت به المجموعة القصصية – مادة البحث – لمحمد علوان.
- أسلوب الصمت لدى محمد علوان، مليئًا بالسحر لما فيه من جدل فكرى وخيالي.
- تنوعت أنماط الصمت عند محمد علوان، فاعتمد الصمت الثائر المتمرد والصمت الدال على الخوف، والصمت الدال على التفكير والتأمل.
- اعتمد محمد علوان على تقنية " المونولوج الداخلي" لكشف الصراع الداخلي للبطل.

وعليه تبقى مجموعة (الخبز والصمت) لمحمد علوان – بداية أعماله القصصية– مسكونة بالصمت رغم الصوت، تحتمل العديد من القراءات بأشكال شتى، على حسب قدرة القارئ وذوقه وخياله ومتعته، وقدرته على الاستنطاق.

والله ولي التوفيق

المصادر:

- القرآن الكريم.
- مجموعة الخبز والصمت، محمد علوان، القاهرة ط١ ١٩٧٧م.
- مدونة محمد على علوان http://www.mohammedalwan.com/index.php

المراجع:

- البيان والتبين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جوهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٧م.
- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفرت، تحقيق محمود الربيعي، دار المعارف القاهرة ط٢.
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- حاشية السندي، أحمد بن حنبل، شرح وتحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة رسالة.
- الحيوان، عمرو بن بحر بن الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني، شرح ياسين الأيوبي المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٢م.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت ط٣ ٢٠٠٥م.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومي، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر ط١ ١٩٥٢م.
- شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذيّ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الأنصاري، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة العربية للتوزيع، سوريا، ١٩٨٤م.

- شعب الأيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد العلى عبد الحميد حامد، أشرف على التحقيق مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط١ ٢٠٠٣م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- الصَّمت في الأدب المسرحي المعاصر اللامعقول أنموذجاً، سافرة ناجى، دار الينابيع، سوريا، ط١، ٢٠١١م.
- العلامة البصرية والبُنى الرامزة، قراءة في شعر عبد الهادي الفرطوسيّ وسردياته، عباس محمد رضا، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
- في الأدب العربي السعودي، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس طبعة ٢٠٠٦م.
- فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الشروق بيروت ط١ ١٩٩٦م.
- فن القصة القصيرة، سيد حامد النساج، دار المعارف.
- فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ ١٩٦٤م
- كتاب الزهد الكبير، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط٣ ١٩٩٦م.
- كتاب سيبويه تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- لغة الصمت في (جرح يتكلّم) للشاعر حسام حبيب الأعرجي (بحث).
- مصطلح الصمت، عباس محمد رضا، كلية التربية جامعة بابل.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين، تونس ١٩٨٦م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر ومحمّد النجّار، مجمّع اللغة العربيّة، الإدارة العامّة للمجمّعات وإحياء التراث، دار الدعوة، إستنبول، تركيا، ١٩٨٩م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

الصحف والدوريات:

- الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع، يحي الرخاوي، مجلة فصول مارس ١٩٨٥م.
- تطور القصة وحداثتها في المملكة، جبير الملحان، المجلة الثقافية العدد٤٠٤، ١٤٣٤هـ.

- جريدة الوطن ٢٢جمادى الأول ١٤٤٥هـ، ٢٠٢٣/١٢/٦م.
- القصة القصيرة جدا في الفراق، صادر الكيس مجلة الموقف الأدبي العدد ٤، ١٩٧٤م.
- القصة القصيرة السعودية المعاصرة، سوسن محمد عبد الجواد، مجلة الحوليات الدراسات الإسلامية العربية، العدد ٣٣، المجلد الخامس
- القصة القصيرة في السعودية، محمود عبد الله الرمي، مجلة الحوية، العدد ٣٦، ١٤٣٣هـ.
- القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، الهاجري السحمي، نادى الرياض الأدبي ط١ ١٩٨٧م.
- مدخل إلى الصمت في النص السردي، محي الدين حمدي، جلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر العدد٨ ٢٠١١م.

الهوامش:

١ فن القصة، محمد يوسف نجم، ص ٩، دار الشروق بيروت ط١ ١٩٩٦م.
٢ المرجع السابق ص٩،١٠ بتصرف.
٣ فن القصة القصيرة، سيد حامد النساج، ص ١٦، دار المعارف.
٤ فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ص١١، ط٢ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م.
٥ المرجع السابق، ص ١٤ بتصرف.
٦ القصة القصيرة جدا في الفراق، صادر الكيس، ص٤٢، مجلة الموقف الأدبي العدد ٤، ١٩٧٤م.
٧ القصة القصيرة في السعودية، محمود عبد الله الرمي، ص ٦، مجلة الحوية ضيف، العدد٣٦،١٤٣٣هـ.
٨ القصة القصيرة السعودية المعاصرة، سوسن محمد عبد الجواد، ص١٠٩، مجلة الحوليات الدراسات الإسلامية العربية، العدد ٣٣، المجلد الخامس.
٩ ينظر: القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، الهاجري السحمي ص٦١،٦٢، نادى الرياض الأدبي ط١ ١٩٨٧م.
١٠ تطور القصة وحداثتها في المملكة، جبير الملحان، المجلة الثقافية العدد٤٠٤، ١٤٣٤هـ.
١١ ينظر: القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، ص٢٢٧.
١٢ في الأدب العربي السعودي، محمد صالح الشنطي، ص٣٠، دار الأندلس طبعة ٢٠٠٦م.
١٣ ينظر: الخبز والصمت، محمد علوان ص٢، القاهرة ط١ ١٩٧٧م.
١٤ جريدة الوطن ٢٢جمادى الأول ١٤٤٥هـ، ٢٠٢٣/١٢/٦م.
١٥ينظر: في الأدب العربي السعودي، محمد صالح الشنطي، ص٣٣٠،٣١٥.
١٦ مقاييس اللغة ج ٣ ص٣٠٨ مادة صمت.
١٧ لسان العرب: ٥٤/٢(صمت)، وتاج العروس: ٥٩١/٤ (صمت).
١٨ المرجع السابق.
١٩ جمهرة اللغة: ٤٠٠/١ (صمت)، والصحاح: ٢٥٦/١ (صمت)، والمعجم الوسيط: ٥٢٢ (صمت).
٢٠ مقاييس اللغة: ٣٠٨/٣(صمت).
٢١ تاج العروس: ٥٩٣/٤(صمت).
٢٢ وسميت ذُلْقاً لأنَّ مخارجها من طرف اللسان وذَلَقُ كلِّ شيءٍ وذَوَلَقُه: طَرَفُهُ، وهي ستة حُروف (ر، ل، ن، ف، ب، م). ينظر: لسان العرب: ١٠ /١١٠.
٢٣ ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٢٦٢/٣، وشرح التصريح على التوضيح: ٣٣٤/٢.
٢٤ سورة الأعراف، آية ١٩٣.
٢٥ سورة مريم، آية ٢٦.
٢٦ ينظر: مصطلح الصمت، عباس محمد رضا، ص٣، كلية التربية جامعة بابل.
٢٧ مدخل إلى الصمت في النص السردي، ص١٣٤، محي الدين حمدي، جلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر العدد٨ ٢٠١١م.
٢٨ دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني، ص ١٧٧، شرح ياسين الأيوبي المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٢م.
٢٩ العلامة البصرية والبُنى الرامزة، قراءة في شعر عبد الهادي الفرطوسيّ وسردياته، عباس محمد رضا، ص٦٨، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
٣٠ كتاب سيبويه تحقيق: عبد السلام محمّد هارون،،١٤١/٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
٣١ البيان والتبين، عمرو بن بحر الجاحظ، ١١٤/١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.
٣٢ سورة الأعراف آية ١٥٤.
٣٣ حاشية السندي، أحمد بن حنبل، شرح وتحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزيبق،٢١٣٤٨، مؤسسة رسالة.
٣٤ كتاب الزهد الكبير، أحمد بن الحسين البيهقي، ص٩٥، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط٣ ١٩٩٦م.
٣٥ شعب الأيمان، أحمد بن الحسين البيهقي ١٧/٧، تحقيق عبد العلى عبد الحميد حامد، أشرف على التحقيق مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط١ ٢٠٠٣م.
٣٦ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ١٣٥٢/٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٧ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص١٥٢، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.
٣٨ينظر: البيان والتبيين:٨٤/١.
٣٩ ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٤٦.
٤٠ينظر: الحيوان، عمرو بن بحر بن الجاحظ، ص٦٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٤١ لغة الصمت في (جرح يتكلّم) للشاعر حسام حبيب الأعرجي: ١ (بحث).
٤٢ شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومي، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد،١٩٦، مطبعة السعادة مصر ط١ ١٩٥٢م.

٤٣ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الأنصاري، ٣٧-٣٩، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة العربية للتوزيع، سوريا، ١٩٨٤م.

٤٤ ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، ص٤٩، دار المعرفة بيروت ط٣ ٢٠٠٥م.

٤٥ينظر: الصَّمت في الأدب المسرحي المعاصر اللامعقول أنموذجاً، سافرة ناجي، ص١٢،١٣، دار الينابيع، سوريا، ط١، ٢٠١١م.

٤٦ معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص١٠٦، المؤسسة العربية للناشرين، تونس ١٩٨٦م.

٤٧ مدونة محمد على علوان http://www.mohammedalwan.com/index.php.

٤٨ مدونة محمد علوان مجموعة الخبز والصمت، قصة لا يتفقون أبداً.

٤٩ المرجع السابق، قصة الخبز والصمت.

٥٠ المرجع السابق.

٥١ المرجع السابق.

٥٢ مدونة محمد علوان، قصة الخبز والصمت

٥٣ المرجع السابق، قصة الجنادب.

٥٤ المرجع السابق.

٥٥ المرجع السابق.

٥٦ مدونة محمد علوان، الجنادب.

٥٧ المرجع السابق.

٥٨ المرجع السابق، قصة يحكى أن.

٥٩ مدونة محمد علوان، قصة يحكى أن.

٦٠ المرجع السابق، قصة الجوع كافر.

٦١ المرجع السابق، قصة تموت واحدك.

٦٢ مدونة محمد علوان، قصة تموت واحدك.

٦٣ المرجع السابق.

٦٤ المرجع السابق، قصة خضراء

٦٥ مدونة محمد علوان، قصة الزمن والشمس.

٦٦ المرجع السابق، قصة شمس الموت.

٦٧ المرجع السابق، قصة الخبز والصمت.

٦٨ هو ذلك التكنيك المستخدم في القصص بهدف تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها، وذلك في مستويات مختلفة للانضباط الوعي. ينظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفرت، تحقيق محمود الربيعي، ص ٤٤، دار المعارف القاهرة ط٢.

٦٩ مدونة محمد علوان، الطيور الزرقاء.

٧٠ المرجع السابق، قصة لا يتفقون أبداً.

٧١ المرجع السابق، قصة خضراء.

٧٢ مدونة محمد علوان، الجوع كافر.

٧٣ المرجع السابق، قصة الجسر.

٧٤ التشخيص هو إبراز الحسي ـــ غير العاقل ـــ في صورة بشرية، أما التجسيد أو التجسيم هو إبراز معنوي في صورة حسية غير عاقلة.

٧٥ الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع، يحي الرخاوي، ص ٦٧، مجلة فصول مارس ١٩٨٥م.

٧٦ مدونة محمد علوان، قصة المطلوب رأس الشاعر.

٧٧ مدونة محمد علوان، قصة خضراء.

٧٨ مدونة محمد علوان، قصة مطلوب رأس الشاعر.

٧٩ المرجع السابق.

٨٠ المرجع السابق، قصة يحكى أن.

٨١ مدونة محمد علوان، قصة الجدران الترابية.

٨٢ المرجع السابق، السؤال الثالث.